

كان أحد حفاس قصر الخليفة العباسي هارون الرشيد يدعى علي بن المبارك يحب العربية ويرغب في الاستزادة من علومها لكنه لا يستطيع حضور مجالس العلماء في ذلك الوقت لارتباطه باداء عمله اليومي . فهل استسلم علي بن المبارك لذلك وترك طلب العلم وهو الذي يحمل طموحا واسعا وحب اعظم ما للعلم والعلماء؟ ها هو العالم الكسائي يتربى على قصر الخلافة يومياً لتعليم ولدي الرشيد : الامين والمأمون قادماً من أطراف بغداد الفسيحة فلم يستفيد من هذا العالم الجليل ؟ فكر علي بن المبارك ثم ابتكر لنفسه طريقة جديدة في طلب العلم فكان ينتظر مجئ الكسائي إلى الرشيد فإذا قبل تلقاءه وقاد له دابته ثم أخذ بيده ومشى معه إلى قصر الخليفة وخلال الطريق يسأله عن المسائل التي يريد معرفتها فإذا دخل الكسائي القصر رجع الشاب علي بن المبارك إلى مكانه وانتظر إلى أن يفرغ الكسائي من تدريس الأميرين فإذا خرج من القصر تلقاءه واحد بيده حتى يركب دابته ويظل معه يسائله حتى يقترب الكسائي من بيته فيعوده الشاب ويعود راجعاً . استمر الشاب يتعلم العلم وهو يسير على قدميه وكان فطناً حريصاً يسجل كل ما يسمعه من استاذه حتى حفظ أربعين ألفاً من الشواهد النحوية والف كثيراً من الكتب . فلما كبر الكسائي ومرض طلب منه الخليفة هارون الرشيد أن يختار لولديه معلماً يقوم بالمهمة عنه . فقال الكسائي: لا أعرف أحداً من أصحابي مثل علي بن المبارك في العلم والفهم ولست أرضي لكم غيره . وهكذا دخل علي بن المبارك إلى دار الخلافة عالماً مرموقاً ومؤدياً موثقاً بعد سنوات طويلة من الصبر والكافح في تلقي العلم سيراً على الأقدام .